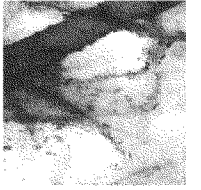

مزامير

عهود نايلة

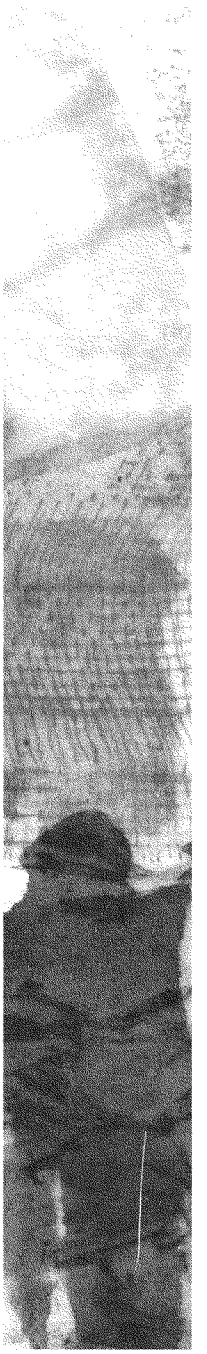

الآنَ والمطرُ ينهمران..

امرأةٌ شقراء تعطّل السير.

طفلٌ يضحك/يبكي.

كهلٌ لازال ينتظر.

رجلٌ يعود من السفر.

والساعة الآن تمام الـ...

لم يبقَ وقت.

لم يبقَ إلاّ الوقت.

❖ ❖ ❖

يفاجئهم قوسُ قزح يذكّرهم بأنهم مازالوا على الأرض، وبأنّ السماء لم تصبح تحتَهم بعد. يصيح صغيري بابتسامةٍ كبيرة:

ـ كم عددُ ألوانه يا ترى؟!

نعم، أعرفها. قالوا لي عندما كنتُ في سنّه إنّها سبعة. لكني، إذ كبرتُ، اكتشفتُ حقًا أنها سبعة.

أسودُ باهتٌ، ذلك الذي يمهّد لك الانتكاسَ الأولَ ويبشّرك بالأخير.

أسودُ حالكٌ، يتآمر مع الليل عليكَ، فتغدو وحدكَ فيه وكأنكَ عدمٌ في عدم.

أسودُ فحميٌّ، يُحرقك، يَصلّبك في مزبلة، لكنك تعشقه ليزدادَ تعذيبُه إيّاك أكثرَ فأكثر.

أسودُ كاذبٌ لا يفرّق بين الكذب والخيانة، ولا بين الحقّ والباطل.

أسودُ هاوٍ، يداعبك قليلاً، ثم يعود ليرسمَ لك شكلَ ألاعيبهم ضدّك!

أسودُ يلوّن شعرَ حبيبتك وعينيها وقلبها.

وأسودُ لا تستطيع أن تسمّيه لأنك تتوقّع منه في كلّ لحظةٍ هزيمةً وفجيعةً، وتعرف أنه سيلوّن ما استطاع من سنيّ عمرك بالدماء.

أفهذا قوسُ قزح الذي يراه صغيري؟ لا.. لا يحقّ لي أن أخبرَه الحقيقةَ. إذنْ، فلأقتنصْ سوادًا ما كي أعرف كيف أجيبه.

ـ أنظرْ يا حبيبي، واذكرْ معي ما تعلّمتَه من قبل. اللون الذي يشبه وطنَك، ما اسمُه؟

ـ أخضر.

ـ أحسنتَ. ها هو (و أشير بيدي). والآن، اللون الذي يذكّرك بالورود؟

ـ إنه.. الأحمر.

ـ والذي يغلّف لعبتك؟

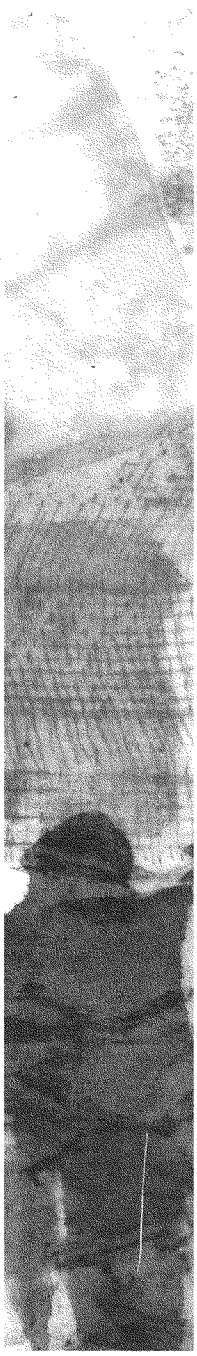

ـ إنه.. إنه.. لقد نسيتُ اسمه، لكنْ هو ذاك (مشيرًا إليه بيده).

ـ جيّد.. إنه الأصفر.

ـ أخيرًا.. ذلك اللون (مشيرًا إليه بيدي)، بماذا يذكّرك؟

ـ الأزرق أعرفه. يذكّرني بمعنى الحريّة!

لم أكن أدري أقتلتُ الصغيرَ بتلك المهزلة، أمْ أنّ قدره أنْ يدركها متأخّرًا، بعد كارثةٍ ما، مثلي؟

ـ لماذا سمّي قوسُ قزح بهذا الاسم؟!

ولأني لم أعرفْ هذه المرّة ما أقوله له، فقد أعطيته دفترَ رسمٍ وعلبةَ ألوان وقلتُ له:

ـ إذا رسمتَه بشكلٍ يشبْهه، لك هديّة.

كان كلّما أمسك دفترَ الرسم، نام عميقًا. وكنتُ كلّما أردتُ قتلَه، أعطيتُه دفترَ الرسم!

❖ ❖ ❖

كان يتسكّع في شارعٍ ما، عندما خطر له أن يقلّد الأعمى الذي رآه أمسِ الأول في المقهى. حرّك يديه ونظراته بشكل يوحي للناس أنه أعمى. في اليوم الأول تقدّم منه طفلٌ وساعده على قطع الشارع حين أصبحت الإشارةُ حمراء. وفي اليوم الثاني قرأتْ له فتاةٌ ما الصحيفةَ في الحديقة. وفي اليوم الثالث...

ولمّا أصبح في اليوم التاسع اعتقد أنّ هذا يكفي. فقرّر أن يكفّ عن تقليده. حاول أن يستعيدَ مِشْيَتَهُ الطبيعيّة فأخفق. حاول أن يقطع الطريقَ، فأخافه صخبُ مزامير السيارات الغاضب (لأنه قطع الإشارة حمراء). تقدّم منه طفلٌ وساعده على قطع الشارع، فانتبه إلى أنه لم يرَ الشارعَ ولا الطفلَ ولا الإشارة. حاول أن يفتح عينيه فأخفق.

وبعد أن لعنَ وسبَّ وبكى واستغفر، قادتْه خطواتُه إلى المقهى الذي رأى فيه ذلك الأعمى. ولمّا جلس إلى إحدى الطاولات سمع الجالسين يترحّمون ويستغفرون لأحدهم. سأل عنه فعرف أنه ذلك الأعمى، فكبرتْ صدمتُه وازدادتْ فجيعتُه. أدار وجهَه بحركةٍ لاإراديّة نحو الجهة التي اعتقد أنّ الأعمى اعتاد الجلوسَ بها، فارتسمتْ في مخيّلته صورةٌ لكرسيّه فارغًا كئيبًا. تنهّد بعمق وقال: «رحمهُ الله.. دُفِنَ في قبره، وورِثْتُ عَماه.»

عهود نايلة

تكتب النصوص المفتوحة والقصّة القصيرة.